المُحسّنات البديعيّة في مرثيّة (لكلّ شيء إذا ما تمَّ نقصان) لأبي البقاء الرندي

م.م فاطمة يونس الزهيري *
الباحثة نورالزهراء ليث فاضل **

الملخص:

يدورُ هذا البحث حول دراسة المُحسّنات البديعيّة في إحدى قصائد الشاعر الأندلسي أبي البقاء الرندي، وهي من أشهر قصائده الرثائية التي تناولها الباحثون والدراسون بدراستها لغويًا وعروضيًا وصرفيًا ونحويا، لذلك كان الهدف من البحث دراستها بلاغيا ولاسيما علم البديع، والذي يعدُّ من فنون البلاغة المهمة الذي يُعنى بتزيين الكلام وتزويقه، فتمّت دراسة قصيدة الرثاء (لكل شيء إذا ما تم نقصان) في ضوء المُحسّنات اللفظية منها (السجع، الجناس) والمُحسّنات المعنوية منها (التورية، الطباق)، فكانت مرثيته مجالا خصبًا لكل الدراسات ومنها دراسة المُحسّنات البديعيّة في قصيدته.

الكلمات المفتاحية: أبو البقاء الرندي، الرثاء، مرثية الرندي، المُحسّنات، البديع.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله محمد وآله الطيبين الطاهرين.

أمّا بعد...

عندما يقوم الإنسان بعمل ما لا بد من هدف يتوخاه في النهاية، وقد كان الهدف من البحث هو إلقاء الضوء على الشاعر أبي البقاء الرندي، وعلى شعره، وعلى وجه الخصوص مرثيته الشهيرة في رثاء الأندلس (لكلِّ شيء إذا ما تمَّ نقصان)، وتحديد المُحسّنات البديعيّة الواردة فيها.

وقد قسّم البحث على مبحثين، مسبوقين بتمهيد ومقدّمة، و متبوعين بخاتمة.

تناول التمهيد كلّ ما يخصّ الشاعر، حياته بجوانبها، شعره، ومؤلفاته، حتى وفاته.

* أستاذة، جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات، العراق.
** باحثة، جامعة الكوفة/ كلية التربية للبنات، العراق.

أما المبحث الأول فدرسَ الرثاء عند العرب، ثمّ في الأندلس، ثم الشاعر، والمرثيّة التي اختص بها البحث، وكل ما يتعلق بها.

والمبحث الثاني درسنا المُحسّنات البديعيّة وما يتعلق بها من جناسٍ، و سجع، وطباق، وأسلوب الحكيم مع تطبيقات من القصيدة على كلٍّ واحد الفنون المذكورة آنفاً.

ثمّ تلت المباحث خاتمة تضمنت النتائج التي توصّل إليها البحث.

التمهيد:

نبذة موجزة عن حياة الشاعر ابي البقاء الرندي

أولًا: اسمه وكنيته

هو صالح بن أبي الحسن يزيد بن صالح بن موسى بن أبي القاسم بن علي بن شريف، رندي، أبو الطيب، ابن شريف.[١]

يكنى بأبي الطيب، أبي البقاء، وأول من ذكره بكنية أبي البقاء – إضافة إلى كنيته الأخرى – هو المقري في نفح أبي الطيب.[٢]

نسبته:

ينتمي وينسب إلى قبيلة نفزة، وهي من قبائل البربر.[٣]

ينتمي إلى مدينة رندة، وكما نقل ابن معيد في (المغرب) أنها أحد معاقل الأندلس الممتنعة وقواعدها المرتفعة.[٤]

مولده:

١- الذيل والتكملة، محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)، تح: د. إحسان عباس وآخرون، دار العرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢ م، المجلد ٢، السفر الرابع، ص: ١٢٨، وترجم له ابن الزبير في صلة الصلة، ونقل عنه ابن الخطيب في الإحاطة، وآخرون.

٢- أبو البقاء الرندي (شاعر رثاء الأندلس)، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٦م، ص: ٣٣.

٣-البربر: هم مجموعة أثنية وسكان أصليين لشمال إفريقيا وتحديداً المنطقة المغاربية، ويقطن الأمازيغ أساسًا بالمغرب، الجزائر، تونس، ليبيا، موريتانيا، شمال مالي، شمال النيجر، وجزء صغير من غرب مصر، إضافة إلى جزر الخالدات، وقد دخل البربر (الأمازيغ المغاربة) الأندلس جنبًا إلى جنب مع عرب المشرق، وكان أول طلائعهم تلك التي دخلت مع طارق بن زياد، ثمّ لحِقت أعدادا كبيرة منهم بعد الفتح.

٤-أبو البقاء الرندي (شاعر رثاء الأندلس)، ص: ٣٤.

٥- المصدر السابق ص: ٣٥ .

ولد في محرم سنة إحدى وست مئة.[٥]

ثانيا: الرّندي الشاعر

كانت الحركة الشعرية في القرن السابع الهجري استمرارًا لما كان في القرن السابق عليه من النشاط، و غزارة في الإنتاج، ووفرة الشعراء، وعلو الطبقة واتسم الشعر بالنفس القوي والأفق المشرق، فهو لم ينحدر انحدارًا مماثلًا لضعف الأحوال العامة في البلاد.

وكان ما يزال في الأندلس في أول القرن وبعد استقرار الأمور لابن الأحمر في غرناطة مَنْ يقدر الشعر، ويثيب عليه، ويشجع أصحابه.

وبعد أن استقرت الأمور في غرناطة وما حازوه في الأندلس في نطاقها اتخذوا لأنفسهم رسوم الملك، وأبهة السلطان واتخذوا الكتاب، والحجاب، والوزراء.[٦]

لا نجد بين أيدينا من باقي شعره ما يدل على اتصاله في مرحلة شبابه الأولى ببعض الأمراء من الموحدين، ومدّعي الخلافة، ومنتحليها أو ببعض الثوار في أرجاء الأندلس عامة أو في رندة خاصة. لكن يبرز الرندي في ظلال بني الأحمر شاعر البلاط مداحًا، وذا صلة وثيقة بالدولة الفتية وأمرائها المحبين للشعر، المتطلعين إلى القصائد التي تقال فيهم.[٧]

كان شاعرنا مكثر الشعر، غزير الإنتاج، وقد كان شعره مدونًا (مجموعًا في ديوان) أشارت إلى وجوده المصادر القديمة لكنه مفقود.[٨]

كتب الرندي في مختلف الأغراض الشعرية التقليدية من (مدح، غزل، وصف ورثاء) إضافة إلى أغراض أخرى كالحكمة، الهجاء، التوحيد والشوق إلى أبنائه.

ثالثًا: وفاته

توفي عام أربع وثمانين وست مئة، ودفن في سبتة، أسبانيا.[٩]

٦- أبو البقاء الرندي (شاعر رثاء الأندلس)، ص ٥١ .
٧- ينظر: المصدر السابق، ص ٥٢ .
٨- -المصدر السابق، ص ٥٣ - ٥٤ .
٩- المصدر السابق، ص ٣٥ :.
١٠-أبو البقاء الرندي الأندلسي، https//:org.imamhussain/arabic/٢٨٢٨

أوصى الرندي أن يُكتَب على قبره هذان البيتان:

خليلي بالود الذي بيننا اجعلا إذا من قبري عرضةً للترحم

عسى مسلمٌ يدنو فيدعو برحمة فإني محتاجٌ لدعوة مسلم.[١٠]

المبحث الأول:

أولا:الرثاء لغة واصطلاحا:

الرثاء لغة:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية تبين لنا أن كلمة (الرثاء) مصدر للفعل الثلاثي المعتل الآخر (رثى)، ومضارعه (يرثي).

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)عن الرثاء:

((رثى فلان فلانًا، يرثيه، رثيًا، ومرثية، أي: يبكيه ويمدحه، والاسم: المرثية)).[١١]

الرثاء اصطلاحا:

يعد ابن طباطبا (ت ١٩٩هـ) من أوائل من تحدث عن الرثاء كغرض مستقل؛ حيث انتبه لعنصر العاطفة عند الراثي: ((ولحسن الشعر وقبول الفهم علة أخرى، وهي موافقته للحال التي يُعَد معناه لها ... وكالراثي في حال جزع المصاب، وتذكر مناقب المفقود عند تأبينه، والتعزية له)).[١٢]

ومن المحدثين يقول محمد غنيمي هلال معلقاً عليه :((وهذا الكلام غفلة تامة عن الموقف، إذ إنه على الرغم من أن الرثاء مدح لهالك، فالموقفان مختلفان في البواعث النفسية، وما يترتب عليها من تخيّر المعاني، ومن طرق الصياغة، ومن الشعور العام الذي يتجلى في طابع القصيد)) .[١٣]

١١- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣ م ، ج٢، ص: ٩٧ .

١٢-عيار الشعر، محمد بن أحمد طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٢ م، ص: ٢٢

١٣-المواقف الأدبية، محمد غنيمي هلال، دار النهضة، القاهرة، مصر، د.ت ، ص: ٣٠ .

١٤-ينظر: الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، ص:١١٤.

١٥-ينظر الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د.منجد مصطفى بهجت، د.ط ، د. ت، ص ١١٤ _١١٥ .

١٦- ينظر المصدر نفسه، ص: ٢٥٧ .

ثانيا:الرثاء عند الأندلسيين

لم يخرج شعراء الأندلس في مراثيهم عن "طريقة العرب" التي تدور في الغالب حول أفلاك ثلاثة هي:

التأبين : الندب والعزاء.التأبين: الثناء على الشخص حيًا أو ميتًا ثمّ اقتصر على الموتى.

النّدب: هو إظهار التوجع، والتفجع، والنواح، والبكاء على الميت، بعبارات مُشجية وألفاظ مُحزنة تصدع القلوب.

العزاء: هو الصبر على كارثة الموت، والمواساة بفقد الميت العزيز.[١٤]

وأكثر ما كان رثاء الأندلسيين في أقاربهم؛ فقد رثى ابن حميدس أباه، وزوجته، ورثى الحصري القيرواني ابنه عبد الغني، ورثى ابن وهبون أستاذه أبا الحجاج الأعلم الشنتمري.

ومن أبواب الرثاء الأخرى رثاء الشعراء الملوك والقادة، وقد اختلطت بعض أشعارهم في رثاء المدن و الممالك ،حيث رثوا المعتمد بن عباد بعد زوال ملكه.[١٥]

كما شاع في الأندلس لونٌ رثائي آخر تفرد به الأندلسي هو (رثاء المدن والممالك) حيث كان القرن الخامس الهجري أحفل عصور الأندلس بالصراع الذي أدى إلى سقوط بعض مدن الأندلس وممالكها.[١٦]

ثالثا:الرثاء عند أبي البقاء الرندي

أفرد الرندي في كتابه (الوافي) بابًا خاصًا لغرض الرثاء، وهذا الغرض عنده يقسّم على قسمين:

الأول أُسري: رثى فيه من اتصل به من المتوفين إليه، فقد رثى والده، ابنه (محمد)،زوجته، ومن اتصل بهم.

الثاني: يتعلق برثاء المدن الزائلة.

تتخذ قصيدة الرثاء عنده منهجًا متقاربًا لما هو عند العرب فهو يضمنها في العادة أمور أربعة، الأول: معان حكمية عامّة في الدنيا، والموت، والفناء، والخلود، وإن كل شيء هالك إلا الله سبحانه وتعالى .

الثاني: ذكر مآثر الميّت وصور من حياته.

الثالث: التوجع والتفجع وأثر المصاب في نفس الشاعر.

الرابع: التصبر والتعزي وما يلحق بذلك.[١٧]

رابعًا: رثاء المدن الزائلة:

خير ما يمثلها مرثية(لكلّ شيء إذا ما تمّ نقصان) .

وهي من القصائد العمودية، على بحر البسيط، بقافية النون، نونية الرندي هذه فاقت في الشهرة قفا نبكِ، لأمرئ القيس ولم يعهد الناس مرثية بلغت ما بلغته من إثارة الحفائظ، وإرهاق العواطف، فضلًا عن إبداع النظم وإحسان السبك، حتى فاقت مرثية الأديب (أبي جعفر بن خاتمة)[١٨] في أثناء سقوط غرناطة.[١٩]

خامسًا:تاريخ القصيدة :

تُشير الحقيقة التاريخية إلى أنّ مرثية الأندلس لم تنظم لرثاء سقوط الأندلس النهائي، كما كان الاعتقاد شائعًا لدى معظم الدوائر الأدبية والتاريخية حتى عصر المقرّي؛ وإنما نظمت رثاءً لسقوط القواعد الأندلسية الكبرى في النصف الأول من القرن السابع الهجري.[٢٠]

هذه القصيدة لم يذكرها ابن الخطيب ولم يشر إليها ولو بكلمة رغم ترجمته عن الرندي في الإحاطة، ولعلّ السبب يكمن في ولائهِ لبني نصر (بني الأحمر)، كما إن وجودها في مؤلفه إلى جانب ترجمة ابن الأحمر وآخرين من ملوك غرناطة قد يسيء إلى ذكريات مؤسس مملكة غرناطة.

١٧—أبو البقاء الرندي(شاعر رثاء الاندلس)،ص: ٧٧.

١٨- أبو البقاء الرندي (حياته وشعره)، زياد طارق لفتة، مجلة البحوث المحكمة، جامعة ديالى، كلية التربية الأساسية، ع ٧، ج ١، ٢٠١٧ م، ص ٣٤٠ .

١٩- ينظر:أندلسيات، محمد عبد الله عدنان، د ط، د.م، ١٩٨٨ م، ص: ١٣٢.

٢٠-ينظر: أندلسيات، ص ١٣٣ - ١٣٤ .

أمّا قيمة القصيدة فمستمدة ممّا فيها من عاطفة جياشة، وما سرد صاحبها من أخبار محزنة، وما صاغ من عبارة، ومَا أثار من حماسة.[٢١]

وتعدُّ هذه القصيدة من عيون الشعر العربي، يقول عنها الدكتور شوقي ضيف: (والقصيدة درّة يتيمة رائعة، ولروعتها أخذت الأجيال التالية تزيد عليها أبياتًا تندب بها البلاد التي سقطت في أيدي النصارى الشماليين بعد وفاة أبي البقاء الرندى سنة ٦٨٤ للهجرة. وتنبه لذلك المقري في نفح الطيب، إذ ذكر بعد إنشاده لها من رواية وثيقة أن بأيدي الناس منها زيادات ندبت فيها مدن الأندلس التي ظلت تسقط حتى عهد العرب الأخير وحتى استسلام غرناطة مع غروب الشمس العربية نهائيا في تلك الديار بعد أن ظلت ساطعة في سمائها ثمانية قرون طوال).[٢٢]

سادسًا: أقسام القصيدة

قسّمت القصيدة على ثلاثة أقسام في القسم الأول: تناول الشاعرُ فلسفة الحياة والفناء، ولم يكن له عصب السّبق في ذلك بل سبقه شعراء كثيرون، حتى من الجاهليين فقد كتب بهذا الأعشى .

القسم الثاني: يخص فيه بالذكر فجيعة سقوط لأندلس بعد حديثه عن زوال الأمم السابقة.

القسم الثالث: يستنفر ويستدعي أهل الأندلس والمسلمين لحماية الأندلس.

وهو يتحدث عن الأمور بصورة تفصيلية تفجع القارئ برسم صور من الذل والهوان للأندلسيين بعد أن كانوا أسيادًا.[٢٣]

المبحث الثاني:

المُحسّنات اللفظيّة والمعنويّة في القصيدة دراسة تطبيقيّة

أولًا: تعريف المركّب الإضافي: المُحسّنات البديعيّة

المحسّن لغة

٢١-ينظر: أبو البقاء الرندي (شاعر رثاء الأندلس)، ص٩٥.

٢٢- تاريخ الأدب العربي(عصر الدول والأمارات)، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٢٢،د.ت، ج٨، ص:٣٩١

٢٣- ينظر، أبو البقاء الرندي (شاعر رثاء الأندلس)، ص: ٩٠.

ورد تعريف المحسّن في كتاب العين:(المحسّن الموضع الحسن في البدن، وجمعه محاسن).[٢٤]

البديع لغة:

البدع: إحداث شيء لم يكن له من قبل خلق ولا ذكر ولا معرفة. والله بديع السموات والأرض ابتدعهما، ولم يكونا قبل ذلك شيئا يتوهمهما متوهم، والبدع الشيء الذي يكون أولاً في كل أمر، كما قال الله عز وجل:((قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ))[٢٥]،أي: لست بأول مرسل.[٢٦]

المُحسّنات البديعيّة:

هي نفسها علم البديع الذي تحدث السكاكي عنه بقوله: وإذ قد تقرر أن البلاغة بمرجعيها وأن الفصاحة بنوعيها، مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجات التحسين فههنا وجوه مخصوصة، كثيراً ما يصار إليها، القصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعرف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ.

وبعودتنا إلى كتب المحدثين نجد تعريفاً له هو علم يعرف به الوجوه، والمزايا التي تزيد الكلام حسنا وطلاوة، وتكسوه بهاء ورونقا.[٢٧]

المُحسّنات اللفظية:

المحسّن اللفظي: هو تزين الألفاظ بألوان بديعية من الجمال اللفظي.[٢٨]

وهذه الألوان هي:

١- الجناس.

٢- الاقتباس.

٣- السجع.

١- كتاب العين، ج ١، ص: ٢٣١٨
٢- [سورة الأحقاف: ٩]
٣- كتاب العين ج١، ص: ١٢١

٢٨- البلاغة الواضحة ، على الجارم و مصطفى أمين مطبعة كل وردى ، قم، إيران، ١٩٩٠م، ص: ٢٤٦.
٣١- البلاغة والتطبيق، ص ٤٠٨.
٣٢- كتاب العين ، ج ٢، ص ٢١٧.

ثم إن البلاغيين بعد القزويني جعلوا المُحسّنات اللفظية خاصة بالمسموع من ظواهر الألفاظ، فاصلين بين اللفظ والمعنى في بنية النص الذي لا يمكن تصوره إلا فرضًا ووهمًا.[٢٩]

السجع لغة:

عرفه الخليل(ت١٧٠هـ) بقوله:

سجع: سجع الرجل إذا نطق بكلام له فواصل كقوافي الشعر من غير وزن.[٣٠]

السجع اصطلاحا: بالفتح وسكون الجيم عند أهل البديع من المُحسّنات اللفظية، وهو قد يطلق على نفس الكلمة الأخيرة من الفقرة باعتبار كونها موافقة للكلمة الأخيرة من الفقرة الأخرى.[٣١]

أنواعه:

١-المطرف: وهو ما اختلفت فاصلتاه في الوزن، واتفقتا في التقفية، نحو قوله تعالى:

((أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَاداً . وَالْجِبَالَ أَوْتَاداً))[٣٢]

٢- المرصع: وهو ما اتفقت فيه ألفاظ إحدى الفقرتين أو أكثرهما في الوزن والتقفية،

وقد ورد هذا النوع من السجع في قصيدة شاعرنا بقوله:

لكلِّ شيء إذا ما تم نقصان فلا يغرّ بطيب العيش إنسان.

فقد اتفق فيها (نقصان و إنسان) بالوزن والتقفية ما أضفى على البيت موسيقى جميلة.

٣-المتوازي: وهو ما اتفقت فيه الفقرتان في الوزن والتقفية نحو قوله تعالى:

((فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ (١٣) وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١٤)) [الغاشية: ١٣ – ١٤]

والسجع موطنه النثر، وقد يجيء في الشعر نادرا.[٣٣]

الجناس لغة:

٣٣-كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي القاضي التهانوي(ت ١١٥٨ هـ)، تح: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦م، ص: ٣٩٠.

٣٤- [النبا: ٦-٧]

٣٥- جواهر البلاغة، ص: ٤٢٨-٤٢٧.

قال الخليل بن أحمد الفراهيدي(ت ١٧٠هـ) عن الجناس: (جنس، وكل ضرب من الشيء، الناس والطير وحدوا النحو والعروض، والأشياء تجمع على أجناس ويسمى جناسًا لمجيء حروف ألفاظه من جنس واحد ومادة واحدة).[٣٤]

الجناس اصطلاحًا:

مفهومه عند علماء البلاغة: أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى.

جاء في كتاب جواهر البلاغة والتطبيق أن الجناس هو: تشابه اللفظين في النطق، واختلافهما في المعنى.

وهو ينقسم إلى نوعين: لفظي ومعنوي.[٣٥]

أنواع الجناس:

أولًا: الجناس التام:

يقول العلوي(ت هـ) هو: (أن تتفق الكلمتان في لفظهما، ووزنهما، وحركاتهما، ولا يختلفان إلا من جهة المعنى، وأكثر ما يقع في الألفاظ المشتركة).[٣٦]

يقسّم الجناس التام إلى:

أ- مماثل:

وهو عند ابن رشيق:(أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى).[٣٧]

كقول الشاعر:

قوم لو أنهم ارتاخوا لما قرضوا و أنهم شعروا بالنقص ما شعروا[٣٨]

- الشاهد في (شعروا) الأولى بمعنى (أحسّوا) والثانية (نظموا شعرًا).

٣٦- كتاب العين،ج ٦، ص ٥٥ .

٣٧- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، د.ت، ص: ٤١٩ .

٣٨- الطراز، العلوي،مطبعة المقتطف، مصر،١٩١٤م، ج ٢، ص ٣٥٦ .

٣٩- العمدة، ابن رشيق القيرواني، د.ط، د. ت، ج ١، ص ٣٢١ .

٤٠- يتيمة الدهر،أبي منصور عبد الملك الثعالبي(ت ٦٥٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٣ م، ج ٣، ص: ٢٥٩

وورد أيضا هذا النوع من الجناس في المرثية، قال أبو البقاء الرندي:

دار الزمان على دارا وقاتله وأمّ كسرى فما آواه إيوان [بحر البسيط]

ورد الجناس التام المستوفي في هذا البيت بين الكلمتين (دار) الأولى التي هي فعل بمعنى (تقلب - تبدل) وبين كلمة (دارا) الثانية التي هي اسم يدل على ملك الفرس دارا الأصغر.

ثانيًا/ الجناس غير التام: (هو ما اختلف فيه اللفظان في أعداد الحروف أو أنواعها أو هيئاتها أو ترتيبها).[٣٩]

وقد ورد هذا النوع من الجناس في المرثية، قال أبو البقاء الرندي:

يقودها العلج للمكروه مكرهة والعين باكية والقلب حيران [بحر البسيط]

ورد الجناس الناقص في هذا البيت بين كلمة (مكروه) التي تدل على (الفاحشة - المنكر) وبين كلمة (مكرهة) التي نقص منها حرف الواو، والتي بمعنى (مجبرة)

وقد ورد أيضًا في بيت آخر في المرثية قال أبو البقاء الرندي:

يامن لذلة قوم بعد عزهم أحال حالهم كفر وطغيان [بحر البسيط]

ورد الجناس الناقص في هذا البيت بين كلمه (أحال) التي هي فعل بمعنى غيره بدل وبين كلمه حالهم التي هي بمعنى (هيئة - وضع)، والتي نقصت عن الكلمة الأولى بحرف الهمزة.

المُحسّنات المعنوية

المحسّن لغة:

عرّفه الخليل(ت ١٧٠هـ) بقوله: (المحسّن الموضع الحسن في البدن، وجمعه محاسن).[٤٠]

المعنى لغة:

عرفه الخليل(ت١٧٠هـ) بقوله: (المعنى من عنى عناني الأمر يعنيني عناية فأنا معنى به واعتنيت بأمره، وعنت أمور واعتنت ومعنى كل شيء محنته وحاله الذى يصير إليه أمره.[٤١].

٤١- ينظر: جواهر البلاغة، ص: ٤١٨.
٤٢- كتاب العين، ج١، ص: ٣١٨.
٤٣-المصدر نفسه، ج٣، ص: ٢٤٣.

المُحسّنات المعنوية بصورة عامّة:

هي تزيين المعاني بألوان من الجمال المعنوي.[٤٢]

وهذه الألوان هي:

١ – التورية.

٢ – الطباق.

٣ – المقابلة.

٤ – حسن التعليل.

٥ – تأكيد المدح بما يشبه الذم، وعكسه.

الطباق

الطباق لغة:

عرفه الخليل(ت١٧٠هـ) بقوله:(و طابقت بين الشيئين: جَعَلْتُهما على حذو واحد والزقتهما فيسمّى هذا المطابق).[٤٣]

الطباق اصطلاحا:

عرفه التهانوي بقوله: (المطابقة ويسمى بالطباق أيضا وهي أن يجمع بين الشيئين المتوافقين، وبين ضديهما).[٤٤]

أقسام الطباق

قسم البلاغيون الطباق على قسمين رئيسَين:

5 - طباق الإيجاب هو الجمع بين لفظين مثبتين متضادين .

ب طباق السلب وهو الجمع بين لفظ ومنفيه.

و قد ورد هذا النوع من الطباق في القصيدة في أكثر من موضع، ورد في قوله:

فجائعُ الدّهر أنواع منوّعة وللزمانِ مسرّات وأحزان

٤٤-ينظر البلاغة الواضحة، ص: ٣٤٦.

٤٥- كتاب العين، ج ٣، ص ٣٧ .

٤٦-الكشاف، ص ١١٢٥ البلاغة الواضحة، ص ٣٦٨.

فقد ورد الطباق هنا بين كلمتي (مسرات، أحزان) حيث تضادا في المعنى بين المسرة والحزن.

كما ورد في قوله:

حيثُ المساجد قد صارت كنائس ما فيهن نواقِيس وصلبان

حيث ورد هذا النوع من الجناس بين كلمتي(مساجد، كنائس).

كما ورد في موضع آخر حين قال:

يا راكبين عتاق الخيل ضامرة كأنّها في مجال السبق عقبان

وحاملين سيوف الهند مرهفة كأنّها في ظلام النقع نيران

حيث ورد هذا النوع من الطباق بين كلمتي (راكبين، حاملين) حيث تضادا في المعنى بين الركوب والحمل.

وورد أيضا في قوله:

بالأمس كانوا ملوكا في منازلهم واليوم هم في بلاد الكفر عبدان.

حيث جاء الطباق هنا بين كلمتي (ملوكا، عبدان) حيث تضادا في المعنى بين الملك والعبودية.

الخَاتِمة:

الحمد لله على واسع الكرم، الحمد لله على تمام النعم، الحمد لله حمدًا كثيرًا لا ينتهي على أعتاب عطفه، ورضاه.

بعد اكمال البحث توصلنا إلى مجموعة من النتائج، التي سأذكرها الآن:

5 - بعد القراءة في الأدب الأندلسي بما اقتضاه البحث وجد أن الأدب الأندلسي لا يكاد يختلف عن الأدب العربي السابق له زمانيًا بشيء يذكر، إلا بعض الاختلافات البسيطة التي أملتها عليهم بيئتهم وتداخل الثقافات عندهم.

٢- بعد البحث عن الشاعر (أبي البقاء الرندي) وجدت بأنه شاعر فذ، لكن شعره ضاع ولم يصل إلينا إلا القليل من أدبه، ولو وصلنا كاملًا لأصبنا بنصوص عظيمة أثرت ميادين الشعر، النثر، والنقد.

٣- نونية الرندي(لكل شيء إذا ما تم نقصان) هي كحال القصائد التي كانت تنظم في رثاء المدن لكن فاقت نظيراتها جودة وشهرة، لما فيها من عاطفة جياشة، وحسن صوغ عبارة وسبك، ولما نقل فيها مؤلفها من أخبار، وما أثاره من حماسة.

٤- كما وجدنا بعد قراءة ودراسة للقصيدة وتقصي مواطن البديع فيها وجدنا بأن شاعرنا ليس مغرقًا بهذه المُحسّنات، ولا مقلًا بها لدرجة الندرة، بل جاء بها في مواطنها؛ مستخدمًا إياها كفنّان بارع زادت على قصيدته حسنًا فوق حسن تأليفه.

٥- وقد كشف البحثُ أنّ شاعرنا ليس ممن يُؤثر اللفظ على المعنى أو العكس، بل اعتنى بكليهما ودليل ذلك توازن ما جاء في القصيدة من محسنات لفظية ومعنوية في العدد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

- أبو البقاء الرندي (حياته وشعره)، زياد طارق لفتة، مجلة البحوث المحكمة، جامعة ديالى، كلية التربية الأساسية، ع ٧، ج ١، ٢٠١٧ م.
- الطراز، العلوي، مطبعة المقتطف، مصر،١٩١٤م.
- العمدة، ابن رشيق القيرواني، د.ط، د. ت.
- المواقف الأدبية، محمد غنيمي هلال، دار النهضة، القاهرة، مصر، د.ت.
- أندلسيات، محمد عبد الله عدنان، د ط، د.م، ١٩٨٨م.
- جواهر البلاغة، أحمد الهاشمي، دار الفكر الجديد، بيروت، لبنان، د.ت.
- عيار الشعر، محمد بن أحمد طباطبا العلوي، تح: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٢م.
- أبو البقاء الرندي (شاعر رثاء الأندلس)، محمد رضوان الداية، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٦م.
- الأدب الأندلسي من الفتح حتى سقوط غرناطة، د.منجد مصطفى بهجت، د.ط ، د. ت.

- البلاغة الواضحة ، على الجارم و مصطفى أمين مطبعة كل وردى ، قم، إيران، ١٩٩٠م.
- الذيل والتكملة، محمد بن محمد بن عبد الملك المراكشي (ت ٧٠٣ هـ)، تح: د. إحسان عباس وآخرون، دار العرب الإسلامي، تونس، ٢٠١٢ م، المجلد ٢، السفر الرابع.
- تاريخ الأدب العربي(عصر الدول والأمارات)، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٢٢،د.ت.
- كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٣ م.
- كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، محمد بن علي القاضي التهانوي(ت ١١٥٨هـ)، تح: د.علي دحروج، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٦.
- يتيمة الدهر، أبي منصور عبد الملك الثعالبي(ت ٦٥٤هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٨٣ م.

..... ❖❖❖❖❖ .....